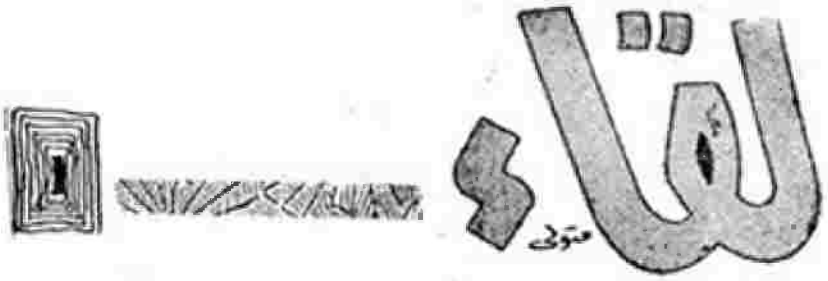

السعيد بيومي الورقي

الساعة الآن التاسعة والنصف ، مازال أمامي المتسع ، فاعتقد ان نصف الساعة الباقية كفيلة بأن تجعلني أبدو على خير ما يرام . وأسرعت في ارتداء ملابسي ، وتمشيط شعري .. لم يبق على الميعاد سوى ربع ساعة فقط ... وأصدقك القول حتى لاتتعجب ، هذه هي المرة الاولى التي أعطي فيها امرأة « ميعادا » أو اخذ من امرأة « ميعادا » فأنا كما لا تعرف شديد الحياء ، يغلب على طبعي الخجل .. و «أموت» في جلدي من الشيء الذي يكون فيه « الحريم » ، ولو أن بيني وبينك ، النساء أجمل شيء في الدنيا ، لكن أنا والحمد لله معدوم الخبرة ، فأنا شديد الخجل كما قلت لك، وصدقني في ذلك ـ وبكل جرأة قلت لها سأنتظرك يوم الأربعاء القادم في محطة الرمل الساعة العاشرة .. وبكل بساطة أقسمت أنها سوف تحضر .. لكن المهم ، عندما أتقابل معها ، ما الذي أعمله ، وأين آخذها ، وكيف أسير معها ، وأنا جد خجول ، لقد كان الاجدر أن أستشير أحد الزملاء ، لكن لا بأس « تفرج » عندما تأتي .

انها بارعة الجمال حقا ، هذا ما يجب أن تضعه في اعتبارك ، والا فما كنت لاترك المحاضرات هذا اليوم لاذهب حيث انتظرها ، لكن لابأس .. يبدو أني سوف أحب كالآخرين .. وبهذه المناسبة يقال ان الحب هو أجمل ما في الوجود .. على كل لنجرب هذا الاجمل اليوم ـ وأنا أقيم في « الازاريطة » وهي لاتبعد عن محطة الرمل باكثر من خمس دقائق سرعان ماطويتها ، ووجدت نفسي في محطة الرمل ، وأجلت بصري هنا وهناك .. الحمد لله ، لم تحضر بعد .. فالساعة الآن العاشرة الا عشر دقائق ووقفت أمام باعة الجرائد وقد عقدت يدي خلف ظهري أنظر الى الجرائد والكتب . ويبدو أني أطلت النظر بعض الوقت فقد افقت فجاة على صوت صبي صغير وهو يجذبني :

ـ باغة ، مشمش .

فالتفت اليه ، وأنا أستعيذ بالله وصحت به : ـ لا هذا ولا ذاك ، اغرب عني قبحك الله . الا أن الملعون أصر على مضايقتي في هذا الصباح ، وقد اشرفت الساعة على العاشرة بالضبط ، وأخذت أتطلع الى جميع الجهات المؤدية الى محطة الرمل ، والصبي ما زال يلح :

ـ والنبي يا بيه .

وكدت أن أجن : ـ ما الذى تريده منى أيها الابلة ، اغرب والا اشـــبعتك ضربا ·

ونظرى حائر هنا وهناك ، ويبدو أن الصبى قد لاحظ اللهجةالجادة التى اتكلم بها ، فتركنى الى صيد آخر ·· ولم تأت بعد ، لقد اتفقتمعى على الساعة العاشرة وها هى العـــاشرة ·· اخشى أن تكون تلك ضحكة منها · وعند ذلك انتابتنى الهواجس ·· ماذا سيكون موقفى أمام نفسى ، وأمام ضميرى ، وكبريائى التى جرحت ، وكرامتى التى اهينت لـــكن لا بأس ، لننتظر قليلا ، ربما عاقها بعض الامور ·· الساعة الآن العاشرةوالربع، والوقت يمر ببطء ، يا الهى ·· انجميع الانظار تتجه الى ·· انها الطامة الكبرى وربى ، لماذا ينظر الى الجميع هكذا ، أفى هيئتى ما يغرى بالنظر ، أم وقفتى ·· نعم ، انها ولا شك ·· وقفتى ·· نصف ساعة بالتمام ، وانا هكذا لا ريب انها كفيلة بأن تجذب الانظار الى ·· لكن ، مثلا ، مثلا ·· أنا فى انتظار الترام ، ولكن أى ترام ، لقد مر العديد منها ·· الا لعنة الله على النساء ·· اهكذا تضحك على « مقصوفة الرقبة » هـــذه ·· والله العظيم بنت « مفعوصة » لاراحتولاجات ·· لكن النصيب ·· لاشك أن كرامتى الآن قد انهارت تماما ، وضـــميرى ·· نعم ضميرى ما الذى أقوله له ·· فقط لو تجىء ، كنت أتغاضى عن الوقتالذى مر ، لكن ·· وتذوقت لاول مرة تقريبـــا طعم الخيبة والمرارة ·· طعم الفشل ·· ان له مذاقا مرا ورثيت فى نفسى لحال هؤلاء العاشقين ·· أتراهم هكذا ··

وأسرعت دقات قلبى ، ولا ريب أن وجهى قد تقلبلونه الى الوانعدة كالوان الطيف هكذا مرة واحدة ·· انهـــا هى لاشك تلك القادمة من أقصى الشارع·· وأسرعت الخطى قليلا ، وارتفعت الدقات وتجمدت مرة واحدة ، لم تكن هى ·· لقد كانت فتاة مماثلة لها فى القد ·· لعنة الله على نظرى ، مع العلم أن نظرى ستة على ستة ، مثل نظر زرقاء اليمامة بالضبط ·· الساعة الآن العـــاشرة والنصف ·· العاشرة والنصف ولم تأت وأخذت أدور حول نفسى فى تتـــابع ، وما عدت أحفل بالنظرات التى لاشك فى أنها موجهة الى ·· فلينظر من ينظر ما شاء ·· يكفى ما أصيبت به كرامتى وكبريائى ·· والمصيبة أنه أول لقاء ·· والالعن من هذا أنى لا أعرف عن الفتاة سوى اسمها ·· أى وربى اسمها فقط ، وهى لاتعرف عنى شيئا البتة ، ســـوى انني انسان ، ويبـــدو من نظراتى انى متيم وفقط ·· فقد تعرفت بها فىظروف حرجة ، وأصدقكالقول ، لست بالمحدث البارع خصوصا مع النساء ، فسرعان ما أتلعثم ، وتنتابنى موجة من الخجل والارتباط ، و لاأدرى ما الذى أقوله ، سوى أن أداعب اصابعى · وأتذكر انى ذات مرة ذهبت الى أحد الزملاء وكانت عنده فتاة قدمنى اليها ، وقدمها الى · ولم أدر ماذا أقول ، سوى أن ابتسم ، وأخفى الابتســـامة باسرع من البرق ، وافتحفمى لكى أقول شيئا ثم لاأقول ·· هكذا أنا دائما ، ضعيف من ناحيـــة الجنس اللطيف ·· المهم أن ما تبادلته مع هذه الفتاة كان مجرد كلمات متفرقة هى حصيلة ساعتين ·· أى وربى ســـاعتين ·· اعمل ايه الدنيا تجارب ، وأنا مازلت تحت التجربة ·

ألا لعنة الله على هذه الفتاة ·· لاريب

أنها لم تجد فى ما يجعلها تحبذ متابعة التعرف .. آه ، لو تجىء لسوف أقضم رقبتها ، أبصق على وجهها ، أتركها فى الطريق تمد ذراعها لتسلم على وأذهب بعيدا .. لا بد أن آثار لكرامتى .. لاشك أن كرامتى الآن تنزف دمعا ودما .

الساعة الآن الحادية عشرة الا خمس دقائق .. ساعة وخمس دقائق ، وأنا اقف هكذا كالطريد .. أترك محاضراتى واضغط على كرامتى وكبريائى من أجل هذه « المقصوفة الرقبة » ثم لاتأتى .. آه ياكرامتى .. رحمة الله عليك .. لقد فقدت كل شىء .. أى وربى . فقدت نفسى ، وما الذى يتبقى للانسان بعد الكرامة والكبرياء ... والمصيبة أنها لم تأت بعد .. وشعرت بالأسى وطعمه المالح فى جوفى ، حتى كدت أشرق ، ولا بد أن عينى اغرورقت بالدموع ، لأنى لم أعد أتبين الاشياء بوضوح ، أو يبدو من غيبة المكنة . وانتابنى دوار هائل من الشمس المحرقة التى تلسع رأسى منذ أكثر من ساعة ، وتحسست رأسى .. انها تلسع كما لو كانت مشتعلة .. رحماك يا الهى ، وأحسست بالظمأ :

ـ يا أخينا يابتاع القازوزة ؟

فالتفت الرجل الى .

ـ قزازة وحياة والدك .

وتناولت الزجاجة ، وحاولت أن أتناول منها بعض الجرعات ، ولكن أمسكت فجأة عن الشرب ، وناولتها للرجل بأسرع من لمحة البصر ومعها ثمنها وأسرعت الخطو فى خفة العصفور الطليق فى روضة من الرياض العبقة .. انها هى نعم .. وابتسمت ابتسامة عريضة ، أخفت وراءها كل ما بى من أسى وشجن ، ومددت لها يدى وأنا أهمس:

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخير .

وتزحزحت الى جوارها فى سكون وابتسام ، وسرنا .